ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر مقتل المتوكل

وفي هذه السنة قتل المتوكل، وكان سبب قتله: أنه أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجبل، وإقطاعها الفتح بن خاقان، فكتبت وصارت إلى الخاتم، فبلغ ذلك وصيفاً، وكان المتوكل أراد أن يصلّي بالناس أول جمعة في رمضان، وشاع في الناس واجتمعوا لذلك، وخرج بنو هاشم من بغداد لرفع القصص وكلامه إذا ركب.

فلما كان يوم الجمعة وأراد الركوب للصلاة قال له عبيد الله بن يحيى، والفتح بن خاقان: إنّ الناس قد كثروا من أهل بيتك ومن غيرهم، فبعض متظلم، وبعض طالب حاجة، وأمير المؤمنين يشكو ضيق الصدر، وعلة به، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بعض ولاة العهود بالصلاة، ونكون معه، فليفعل، فأمر المنتصر بالصلاة، فلما نهض للركوب، قالا له: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تأمر المعتز بالصلاة، فقد اجتمع الناس لتشرفه بذلك، وقد بلغ الله به[1].

وكان قد ولد للمعتز قبل ذلك ولد ـ فأمر المعتز فركب فصلّى بالناس، وأقام المنتصر في داره بالجعفرية، فزاد ذلك في إغرائه، فلما فرغ المعتز من خطبته قام إليه عبيد الله، والفتح بن خاقان فقبلا يديه ورجليه، فلما فرغ من الصلاة انصرف ومعه الناس في موكب الخلافة، حتى دخل على أبيه، فأثنوا عليه عنده، فسرّه ذلك[2].

فلما كان عيد الفطر، قال: مروا المنتصر يصلّي بالناس! فقال له عبيد الله: قد كان

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ١١٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٥)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠١) بمعناه مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٦) مختصراً، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٢) مختصراً.

الناس يتطلعون إلى رؤية أمير المؤمنين، واحتشدوا لذلك، فلم يركب، ولا يأمن إن هو لم يركب اليوم، أن يرجف الناس بعلته، [ويتكلموا في أمره]، فإذا رأى أمير المؤمنين أن يسر الأولياء، ويكبت الأعداء بركوبه، فليفعل، فركب وقد صف له الناس نحو أربعة أميال، وترجلوا بين يديه، فصلّى ورجع، فأخذ حفنة من التراب، فوضعها على/ رأسه وقال: إني رأيت كثرة هذا الجمع، ورأيتهم تحت يدي، فأحببت أن أتواضع لله. ج٥/٣٠١/ط

فلما كان اليوم الثالث افتصد واشتهى لحم جزور، فأكله، وكان قد حضر عنده ابن الحفصي وغيره، فأكلوا بين يديه[١].

قال: ولم يكن يوم أسر من ذلك اليوم، ودعا الندماء والمغنين فحضروا، وأهدت له أم المعتز مطرف خز أخضر لم ير الناس مثله، فنظر إليه فأطال وأكثر تعجبه منه، وأمر فقطع نصفين ورده عليها، وقال لرسولها: والله إنّ نفسي لتحدثني أني لا ألبسه وما أحب أن يلبسه أحد بعدي، ولهذا أمرت بشقه. قال: فقلنا: نعيذك بالله أن تقول مثل هذا، قال: وأخذ في الشرب واللهو، ولهج بأن يقول: أنا والله مفارقكم عن قليل، ولم يزل في لهوه وسروره إلى الليل[٢].

وكان قد عزم هو والفتح أن يفتكا بكرة غد بالمنتصر ووصيف وبغا، وغيرهم من قواد الأتراك، وقد كان المنتصر واعد الأتراك ووصيفاً وغيره، على قتل المتوكل، وكثر عبث المتوكل، قبل ذلك بيوم، بابنه المنتصر، مرة يشتمه، ومرة يسقيه فوق طاقته، ومرة يأمر بصفعه، ومرة يتهدّده بالقتل[٣].

ثم قال للفتح: برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله ﷺ، إن لم تلطمه ـ يعني: المنتصر ـ فقام إليه فلطمه مرتين، ثم أمر يده على قفاه، ثم قال لمن حضره: اشهدوا عليَّ جميعاً أني قد خلعت المستعجل ـ يعني: المنتصر ـ ثم التفت إليه، فقال: سميتك المنتصر، فسماك الناس لحمقك المنتضر، ثم صرت الآن المستعجل، فقال المنتصر: لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليَّ مما تفعله بي، فقال: اسقوه، ثم أمر بالعشاء فأحضر،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٣، ٢٢٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٢) مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٥)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ١٢١) بمعناه، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٥).

وذلك في جوف الليل[١].

فخرج المنتصر من عنده، وأمر بابا غلام أحمد بن يحيى أن يلحقه، وأخذ بيد زرافة الحاجب وقال له: امضِ معي! فقال: إن أمير المؤمنين لم ينم، فقال: إنه قد أخذ منه النبيذ، والساعة يخرج بغا، والندماء، وقد أحببت أن تجعل أمر ولدك إليَّ، فإن أوتامش سألني أنْ أزوج ولده من ابنتك، وابنك من ابنته، فقال: نحن عبيدك فمر بأمرك. فسار معه إلى حجرة هناك، وأكلا طعاماً، فسمعا الضجة والصراخ، فقاما وإذ بغا قد لقي المنتصر، فقال المنتصر: ما هذا؟ فقال: خير يا أمير المؤمنين قال: ما تقول ويلك؟ قال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين، كان عبداً لله دعاه فأجابه، فجلس المنتصر وأمر بباب البيت الذي قتل فيه المتوكل، فأغلق وأغلقت الأبواب كلها، وبعث إلى وصيف يأمره بإحضار المعتز، والمؤيد عن رسالة المتوكل[٢].

وأما كيفية قتل المتوكل، فإنه لما خرج المنتصر دعا المتوكل بالمائدة، وكان بغا الصغير ـ المعروف بالشرابي ـ قائماً عند الستر، وذلك اليوم كان نوبة بغا الكبير، وكان خليفته في الدار ابنه موسى ـ وموسى هذا هو ابن خالة المتوكل ـ وكان أبوه يومئذٍ بسميساط، فدخل بغا الصغير إلى المجلس، فأمر الندماء بالانصراف إلى حجرهم، فقال له الفتح: ليس هذا وقت انصرافهم، وأمير المؤمنين لم يرتفع، فقال بغا: إن أمير المؤمنين أمرني أنه إذا جاوز السبعة أنْ لا أترك أحداً، وقد شرب أربعة عشر رطلاً، وحرم أمير المؤمنين خلف الستارة فأخرجهم، ولم يبق إلا الفتح وعثعث، وأربعة من خدمه الخاصة[٣]، وأبو أحمد بن المتوكل ـ وهو أخو المؤيد لأمه ـ.

وكان بغا الشرابي أغلق الأبواب كلها، إلا باب الشط، ومنه دخل القوم الذين قتلوه، فبصر بهم أبو أحمد، فقال: ما هذا يا سفل؟ فإذا سيوف مسللة، فلما سمع المتوكل صوت أبي أحمد رفع رأسه فرآهم، فقال: ما هذا يا بغا؟ فقال: هؤلاء رجال النوبة، فرجعوا إلى ورائهم عند كلامه، ولم يكن واجن/ وأصحابه وولد وصيف حضروا معهم، فقال لهم بغا: يا سفل! أنتم مقتولون لا محالة، فموتوا كراماً! فرجعوا، فابتدره بغلون فضربه على كتفه وأذنه فقده، فقال: مهلاً! قطع الله يدك، وأراد الوثوب به،

ج٥/٣٠٢/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٦).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٧).

واستقبله بيده فضربها فأبانها وشاركه باغر، فقال الفتح: ويلكم! أمير المؤمنين، ورمى بنفسه على المتوكل فبعجوه بسيوفهم، فصاح: الموت! وتنحى، فقتلوه، وكانوا قالوا لوصيف ليحضر معهم، وقالوا: إنا نخاف، فقال: لا بأس عليكم، فقالوا له: أرسل معنا بعض ولدك، فأرسل معهم خمسة من ولده: صالحاً، وأحمد، وعبد الله، ونصراً، وعبيد الله[١].

وقيل: إن القوم لما دخلوا نظر إليهم عثعث، فقال للمتوكل: قد فرغنا من الأسد، والحيات، والعقارب، وصرنا إلى السيوف، وذلك أنه ربما أسلى الحية، والعقرب، والأسد، فلما ذكر عثعث السيوف، قال: يا ويلك! أيّ سيوف؟ فما استتم كلامه حتى دخلوا عليه وقتلوه، وقتلوا الفتح، وخرجوا إلى المنتصر، فسلموا عليه بالخلافة، وقالوا: مات أمير المؤمنين، وقاموا على رأس زرافة بالسيوف، وقالوا: بايع، فبايع، وأرسل المنتصر إلى وصيف: إنّ الفتح قد قتل أبي فقتلته، فاحضر في وجوه أصحابك! فحضر هو وأصحابه فبايعوا[٢].

وكان عبيد الله بن يحيى في حجرته ينفذ الأمور ولا يعلم، وبين يديه جعفر بن حامد، فبينما هو كذلك إذ طلع عليه بعض الخدم، فقال: ما يحبسك والدار سيف واحد؟ فأمر جعفراً بالنظر، فخرج وعاد، وأخبره أن المتوكل والفتح قتلا، فخرج فيمن عنده من خدمه وخاصته، فأخبر أن الأبواب مغلقة، وأخذ نحو الشط، فإذا أبوابه مغلقة، فأمر بكسر ثلاثة أبواب، وخرج إلى الشط، وركب في زورق، فأتى منزل المعتز فسأل عنه، فلم يصادفه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل نفسه وقتلني، واجتمع إلى عبيد الله أصحابه غداة يوم الأربعاء من الأبناء، والعجم، والأرمن، والزواقيل، وغيرهم، فكانوا زهاء عشرة آلاف، وقيل: كانوا ثلاثة عشر ألفاً، وقيل: ما بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف، فقالوا: ما اصطنعتنا إلا لهذا اليوم، فمرنا بأمرك، واذن لنا نميل على القوم ونقتل المنتصر ومن معه، فأبى ذلك، وقال: المعتز في أيديهم[٣].

وذكر عن علي بن يحيى المنجم أنه قال: كنت أقرأ على المتوكل قبل قتله بأيام كتاباً من كتب الملاحم، فوقفت على موضع فيه: أن الخليفة العاشر يقتل في مجلسه،

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٧)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٧) بمعناه مختصراً.
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٨).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٨، ٢٢٩).

فتوقفت عن قراءته، فقال: ما لك؟ فقلت: خير، قال: لا بد من أن تقرأه فقرأته وحدث عن ذكر الخلفاء، فقال: ليت شعري من هذا الشقي المقتول[١].

فقال أبو الوارث قاضي نصيبين: رأيت في النوم آتياً أتاني وهو يقول:

يا نَائِمَ العَيْنِ فِي جُثْمَانِ يَقْظَانِ ... مَا بَالُ عَيْنِكَ لاَ تَبْكِي بِتَهْتَانِ

أَمَا رَأَيْتَ صُروفَ الدَّهْرِ مَا فَعَلَتْ ... بِالهَاشِمِيِّ وَبِالفَتْحِ بنِ خَاقَانِ[٢]

فأتى البريد بعد أيام بقتلهما، وكان قتله ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال، وقيل: ليلة الخميس، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام، وكان مولده بفم الصلح في شوال سنة ست ومائتين، وكان عمره نحو أربعين سنة، وكان أسمر، حسن العينين، نحيفاً، خفيف العارضين[٣].

ج٥/٣٠٣/ط ورثاه الشعراء فأكثروا/، ومما قيل فيه قول علي بن الجهم:

عَبِيد أَمِير المؤمنين قَتَلْتَهُ ... وَأَعْظَم آفَاتِ المُلُوكِ عَبِيْدُهَا

بَنِي هَاشِمٍ صَبْرًا فَكُلُّ مُصِيْبَةٍ ... سَيَبْلَى عَلى وَجْهِ الزَّمَانِ جَدِيْدُهَا

ذكر بعض سيرته

ذكر أن أبا الشمط مروان بن أبي الجنوب قال: أنشدت المتوكل شعراً ذكرت فيه الرافضة، فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليَّ أربع خلع، وخلع على المنتصر، وأمر لي المتوكل بثلاثة آلاف دينار، فنثرت عليّ، وأمر ابنه المنتصر وسعد الإيتاخي أن يلقطاها لي، ففعلا، والشعر الذي قلته:

مُلْكُ الخَلِيفَةِ جَعْفَر ... لِلدِّيْنِ وَالدُّنْيَا سَلاَمَهْ

لَكُمْ تُرَاثُ مَحَمَّدٍ ... وَبِعَدْلِكُمْ تَشْقَى الظُّلاَمَهْ

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٢٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٤).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٣).

يَـرْجُـو الـتُّـرَاثَ بَـنُـو الـبَـنَـا ... تِ وَمَـا لَـهُـمْ فِـيْـهَـا قُـلاَمَـهْ
وَالـصِّـهْـرُ لَـيْـسَ بِـوَارِثٍ ... والـبِـنْـتَ لاَ تَـرِثُ الإِمَـامَـهْ
مَـا لِـلَّـذِيْـنَ تَـنَـحَّـلُـوا ... مِـيـراثَـكُـمْ إلا الـنَّـدَامَـهْ
أخـذ الـوراثـة أهـلـهـا ... فَـعَـلام لَـوْمُـكُـمُ عَـلاَمَـهْ
لَـوْ كَـانَ حَـقُـكُـمُ لـمَـا ... قَـامَـتْ عَـلـى الـنَّـاسِ الـقِـيَـامَـهْ
لَـيْـسَ الـتُّـراثُ لِـغَـيْـرِكُـمْ ... لاَ وَالإِلَـهِ ولا كَـرَامَـهْ
أصـبَـحْـتَ بَـيْـنَ مُـحِـبِّـكُـمْ ... وَالْمُبْـغِـضِـيْنَ لَـكُـمْ عَـلاَمَـهْ

ثم نثر علي بعد ذلك، لشعر قلته في هذا المعنى عشرة آلاف درهم[1].

وقال يحيى بن أكثم: حضرت المتوكل فجرى بيني وبينه ذكر المأمون، فقلت بتفضيله وتقريظه، ووصف محاسنه وعلمه ومعرفته قولاً كثيراً، لم يقع لموافقة من حضر، فقال المتوكل: كيف كان يقول في القرآن؟ فقلت: كان يقول: ما مع القرآن حاجة إلى علم فرض، ولا مع السنة وحشة إلى فعل أحد، ولا مع البيان والإفهام حجة لتعلم، ولا بعد الجحود للبرهان والحق إلا السيف لظهور الحجة، فقال المتوكل: لم أرد منك ما ذهبت إليه، فقال يحيى: القول بالمحاسن في المغيب فريضة على ذي نعمة، قال: فما كان يقول خلال حديثه، فإن أمير المؤمنين المعتصم بالله رَحِمَهُ اللَّهُ، كان يقول وقد أنسيته؟ قال كان يقول: اللهم إني أحمدك على النعم التي لا يحصيها غيرك، وأستغفرك من الذنوب التي لا يحيط بها إلا عفوك، قال: فما كان يقول إذا استحسن شيئاً، أو بُشر بشيء فقد نسيناه؟ قال يحيى: كان يقول إذا ذكر آلاء الله وكثرتها، وتعداد نعمه: الحديث بها فرض من الله على أهلها، وطاعة لأمره فيها، وشكر له عليها، فالحمد لله العظيم الآلاء السابغ النعماء بما هو أهله ومستوجبه من محامده القاضية حقه البالغة شكره، والمانعة غيره، الموجبة مزيده، على ما لا يحصيه تعدادنا، ولا يحيط به ذكرنا من ترادف مننه، وتتابع فضله، ودوام طوله، حمد من يعلم أن ذلك منه، والشكر له عليه، فقال المتوكل: صدقت هو الكلام بعينه[2]/ .

ج٥/٣٠٤/ط

وقدم في هذه السنة محمد بن عبد الله بن طاهر من مكة في صفر، فشكا ما ناله

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣١).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٣).

من الغم بما وقع من الخلاف في يوم النحر، فأمر المتوكل بإنفاذ خريطة من الباب إلى أهل الموسم برؤية هلال ذي الحجة، وأمر أن يقاد على المشعر الحرام، وسائر المشاعر، الشمع مكان الزيت والنفط.

وفيها ماتت أم المتوكل في شهر ربيع الآخر، وصلّى عليها المنتصر، ودفنت عند المسجد الجامع، وكان موتها قبل المتوكل بستة أشهر(١).

ذكر بيعة المنتصر

قد ذكرنا قتل المتوكل، ومن بايع المنتصر أبا جعفر محمد بن جعفر المتوكل تلك الليلة، فلما أصبح يوم الأربعاء حضر الناس الجعفرية من القواد، والكتاب، والوجوه، والشاكرية، والجند، وغيرهم، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن المنتصر: أن الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتله به، فبايع الناس، وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فبايع وانصرف(٢).

قيل: وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال: لما كانت الليلة التي قتل فيها المتوكل كنا في الدار مع المنتصر، فكان كلما خرج الفتح خرج معه، وإذا رجع قام لقيامه، وإذا ركب أخذ بركابه، وسوى عليه ثيابه في سرجه، وكان اتصل بنا الخبر: أن عبيد الله بن يحيى قد أعد قوماً في طريق المنتصر، ليغتالوه عند انصرافه، وكان المتوكل قد أسمعه وأحفظه ووثب عليه، فانصرف غضبان وانصرفنا معه إلى داره، وكان واعد الأتراك على قتل المتوكل إذا ثمل من النبيذ، قال: فلم ألبث أن جاءني رسوله أن أحضر، فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير ليركب، قال: فوقع في نفسي ما كنا سمعنا من اغتيال المنتصر، فركبت في سلاح وعدة، وجئت باب المنتصر، فإذا هم يموجون، وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنهم قد فرغوا من المتوكل، فركب فلحقته في بعض الطريق وأنا مرعوب، فرأى ما بي، فقال: ليس عليك بأس أمير المؤمنين قد شَرِق بقدح شربه فمات، رحمه الله تعالى، فشق عليَّ، ومضينا ومعنا أحمد بن الخصيب وجماعة من القواد حتى

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١١/ ٣٥٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٨٠٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٤١)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢٠)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٩٣) مختصراً.

دخلنا القصر، ووكل بالأبواب، فقلت له: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي أن تفارقك مواليك في هذا الوقت. قال: أجل، وكن أنت خلف ظهري، فأحطنا به وبايعه من حضر[١].

وكل من جاء يوقّف، حتى جاء سعيد الكبير فأرسله خلف المؤيد، وقال: امض أنت إلى المعتز حتى يحضر، فأرسلني، فمضيت وأنا آيس من نفسي ومعي غلامان لي، فلما صرت إلى باب المعتز لم أجد به أحداً من الحرس والبوابين، فصرت إلى الباب الكبير فدققته دقاً عنيفاً، فأجبت بعد مدة: من أنت؟ فقلت: رسول أمير المؤمنين المنتصر، فمضى الرسول وأبطأ، وخفت، وضاقت عليّ الأرض.

ثم فتح الباب وخرج بيدون الخادم وأغلق الباب، ثم سألني عن الخبر، فأخبرته: أنّ المتوكل شرق بكأس شربه فمات من ساعته، وأنّ الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر وقد أرسلني لأحضر الأمير المعتز ليبايع، فدخل، ثم خرج، فأدخلني على المعتز، فقال لي: ويلك ما الخبر؟ فأخبرته وعزيته، وقلت: تحضر وتكون في أول من يبايع، وتأخذ بقلب أخيك، فقال: حتى نصبح، فما زلت به أنا وبيدون حتى ركب، وسرنا وأنا أحدثه، فسألني عن عبيد الله بن يحيى، فقلت: هو يأخذ البيعة على الناس، والفتح قد بايع، فأيس، وأتينا باب الخير، ففتح لنا وصرنا إلى المنتصر، فلما رآه قربه، وعانقه، وعزاه، وأخذ البيعة عليه، ثم وافى سعيد الكبير بالمؤيد، ففعل به مثل ذلك، فأصبح الناس، وأمر المنتصر بدفن المتوكل والفتح[٢]/ .

ج٥
٣٠٥/ط

ولما أصبح الناس شاع الخبر في الماخورة ـ وهي المدينة التي كان بناها المتوكل ـ وفي أهل سامراء بقتل المتوكل، فتوافى الجند والشاكرية بباب العامة وبالجعفرية، وغيرهم من الغوغاء والعامة، وكثر الناس، وتسامعوا، وركب بعضهم بعضاً، وتكلموا في أمر البيعة، فخرج إليهم عتاب بن عتاب، وقيل: زرافة، فوعدهم عن أمير المؤمنين المنتصر، فأسمعوه، فدخل عليه فأعلمه، فخرج المنتصر وبين يديه جماعة من المغاربة، فصاح بهم وقال: خذوهم، فدفعوهم إلى الأبواب، فازدحم الناس وركب بعضهم بعضاً، فتفرقوا وقد مات منهم ستة أنفس[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٢٠).

ذكر ولاية خفاجة بن سفيان صقلية وابنه محمد وغزواتهما

قد ذكرنا سنة ست وثلاثين ومائتين: أن أمير صقلية العباس توفي سنة سبع وأربعين، فلما توفي ولّى الناس عليهم ابنه عبد الله بن العباس، وكتبوا إلى الأمير بإفريقية بذلك، وأخرج عبد الله السرايا، ففتح قلاعاً متعددة منها: جبل أبي مالك، وقلعة الأرمنين، وقلعة المشارعة، فبقي كذلك خمسة أشهر، ووصل من إفريقية خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية، فوصل في جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين، فأول سرية أخرجها سرية فيها ولده محمود، فقصد سرقوسة فغنم، وخرب وأحرق، وخرجوا إليه فقاتلهم فظفر، وعاد فاستأمن إليه أهل رغوس.

وقد جاء سنة اثنتين وخمسين: أن أهل رغوس استأمنوا فيها، على ما نذكره، ولا نعلم أهذا اختلاف من المؤرخين أم هما غزاتان، ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة والله أعلم.

وفي سنة خمسين ومائتين فتحت مدينة نوطس، وسبب ذلك: أن بعض أهلها أخبر المسلمين بموضع دخلوا منه إلى البلد في المحرم، فغنموا منها أموالاً جليلة، ثم فتحوا شكلة بعد حصار.

وفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين سار خفاجة إلى سرقوسة، ثم إلى جبل النار فأتاه رسل أهل طبرمين يطلبون الأمان، فأرسل إليهم امرأته وولده في ذلك، فتم الأمر، ثم غدروا، فأرسل خفاجة محمداً في جيش إليها، ففتحها وسبى أهلها، وفيها أيضاً سار خفاجة إلى رغوس، فطلب أهلها الأمان ليطلق رجل من أهلها بأموالهم ودوابهم، ويغنم الباقي، ففعل وأخذ جميع ما في الحصن من مال، ورقيق، ودواب، وغير ذلك، وهادنه أهل الغيران وغيرهم، وافتتح حصوناً كثيرة، ثم مرض فعاد إلى بلرم.

وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين سار خفاجة من بلرم إلى مدينة سرقوسة، وقطانية، وخرب بلادها، وأهلك زروعها، وعاد، وسارت سراياه إلى أرض صقلية، فغنموا غنائم كثيرة.

وفي سنة أربع وخمسين ومائتين سار خفاجة في العشرين من ربيع الأول، وسيّر ابنه محمداً على الحراقات، وسيّر سرية إلى سرقوسة، فغنموا، وأتاهم الخبر: أنّ بطريقاً قد سار من القسطنطينية في جمع كثير، فوصل إلى صقلية فلقيه جمع من المسلمين،

فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الروم، وقتل منهم خلق كثير، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، ورحل خفاجة إلى سرقوسة، فأفسد زرعها وغنم منها وعاد إلى بلرم، وسيّر ابنه محمداً في البحر مستهل رجب إلى مدينة غيطة، فحصرها وبث العساكر في نواحيها، وشحن مراكبه بالغنائم، وانصرف إلى بلرم في شوال[١].

وفي سنة خمس وخمسين ومائتين سيّر خفاجة ابنه محمداً إلى مدينة طبرمين، وهي من أحسن مدن صقلية، فسار في صفر إليها، وكان قد أتاهم من وعدهم أن يدخلهم إليها من طريق يعرفه، فسيّره مع ولده، فلما قربوا منها تأخر محمد، وتقدم بعض عسكره رجالة مع الدليل، فأدخلهم المدينة، وملكوا بابها وسورها، وشرعوا في/ السبي والغنائم، وتأخر محمد بن خفاجة فيمن معه من العسكر عن الوقت الذي وعدهم أنه يأتيهم فيه، فلما تأخر عنهم ظنوا أن العدو قد أوقع بهم، فمنعهم من السبي، فخرجوا عنها منهزمين، ووصل محمد إلى باب المدينة ومن معه من العسكر، فرأى المسلمين قد خرجوا منها، فعاد راجعاً.

ج٥/٣٠٦ط

وفيها في ربيع الأول خرج خفاجة وسار إلى مرسة، وسيّر ابنه في جماعة كثيرة إلى سرقوسة، فلقيه العدو في جمع كثير فاقتتلوا، فوهن المسلمون وقتل منهم ورجعوا إلى خفاجة، فسار إلى سرقوسة فحصرها، وأقام عليها، وضيّق على أهلها، وأفسد بلادها، وأهلك زرعهم، وعاد عنها يريد بلرم، فنزل بواد الطين وسار منه ليلاً، فاغتاله رجل من عسكره، فطعنه طعنة فقتله، وذلك مستهل رجب، وهرب الذي قتله إلى سرقوسة، وحمل خفاجة إلى بلرم فدفن بها، وولى الناس عليهم بعده ابنه محمداً، وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن أحمد أمير إفريقية، فأقره على الولاية، وسيّر له العهد والخلع[٢].

ذكر ولاية ابنه محمد

لما قتل خفاجة استعمل الناس ابنه محمداً، وأقره محمد بن أحمد بن الأغلب ـ صاحب القيروان ـ على ولايته، فسيّر جيشاً في سنة ست وخمسين ومائتين إلى مالطة، وكان الروم يحاصرونها، فلما سمع الروم بمسيرهم رحلوا عنها.

وفي سنة سبع وخمسين ومائتين في رجب قتل الأمير محمد، قتله خدمه الخصيان

(١) ذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ١١٥).

(٢) ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٢٤١ ـ ٢٥٠ هـ) (١٨٦، ١٨٧) و (١٨٩).

وهربوا، فطلبهم الناس فأدركوهم فقتلوهم.

ذكر عدة حوادث

وفيها ولّى المنتصر أبا عمرة أحمد بن سعيد - مولى بني هاشم - بعد البيعة له بيوم المظالم، فقال الشاعر:

يَا ضَيْعَةَ الإِسْلاَمِ لما وَلي ... مَظَالِمَ النَّاسِ أَبُو عَمْرَهْ
صُيِّرَ مَأْمُوناً عَلَى أُمَّةٍ ... وَلَيْسَ مَأْمُوناً عَلَى بَعْرَهْ[1]

وحج بالناس: محمد بن سليمان الزينبي[2].

واستعمل على دمشق: عيسى بن محمد النوشري.

وفيها سار جيش للمسلمين بالأندلس إلى مدينة برشلونة وهي للفرنج، فأوقعوا بأهلها، فراسل صاحبها ملك الفرنج يستمده، فأرسل إليه جيشاً كثيفاً، وأرسل المسلمون يستمدون، فأتاهم المدد، فنازلوا برشلونة، وقاتلوا قتالاً شديداً، فملكوا أرباضها، وبرجين من أبراج المدينة، فقتل من المشركين بها خلق كثير، وسلم المسلمون، وعادوا وقد غنموا.

الوفيات

وفيها توفي أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي الإمام في العربية[3].

---

(١) ذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ١١٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٩).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٢٣٩)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ٢٩٨).

openkandil.com